نقد واقع الترجمات العربية: الواقع الثقافي:

سلطان بن سعد القحطاني/ جامعة الرياض

مقدمة:

تعتبر الترجمة عماد التواصل بين الأمم، في نقل ثقافاتها وعلومها، ونشر الثقافة، بما يسمى التواصل مع الآخر، وتقوم هذه المهمات على قواعد وأصول، معرفية/ ثقافية، يقوم بها عدد من الأشخاص المؤهلين للقيام بها، ممن يجيدون اللغتين/ المترجم منها، والمترجم إليها، وهذه هي المسلمة التي تعلمناها في بدايات حياتنا العلمية. لكن ظهر لنا فيما بعد ما هو أهم من هذه الجزئية، على أهميتها، وهي الثقافة بين اللغتين، حيث تخللت كثير من المسلمات الثقافية كثيرا من النصوص المترجمة/ علمية أو أدبية؛بما يتنافى- كلياً أو جزئياً- مع الثقافة المنقول إليها، أو نحت كلمة أو جملة تتنافى مع ثقافة اللغة المنقول منها،أو استخدام كلمة ليست من أصل اللغة المترجم إليها؛؛؛ أو ترجمة بعض الأسماء بمعانيها القديمة المنقرضة في سياق لا يتفق والاسم المعروف علميا وثقافيا، أو تطبيق نظرية ما على ثقافة أخرى تنافيها جملة وتفصيلاً، وفي أحيان كثيرة نجد نصوصاً ترجمت بكل السلبيات التي أشرت إليها ،وأحياناً ينقل النص بكامله، بما يتفق وما لا يتفق والثقافة المنقول إليها. وفي هذا البحث سأحاول معالجة هذه الأخطاء التي مارسها المترجمون العرب إلى اللغة العربية، سواء بالنقل الكامل للمصطلح أو بترجمته إلى المصطلح العربي:

الثقافة:

تعددت تعاريف الثقافة منذ القرون الأولى للوجود الإنساني على الأرض، وقامت القواميس بتعريفها حسب مدلولاتها في كل لغة، ووجدت أن أقرب تعريف لها أنها" المركّب العام الذي يتضمن المعارف والعقائد والفنون والأخلاق والعادات والتقاليد والقوانين والحياة اليومية لشعب من شعوب الأرض" وإذا تُرجم نص لا يشتمل على هذه النقاط التي عرفنا بها الثقافة، فسيكون عديم الفائدة للمتلقي، ونجد أنها تتركز في موضوعين:

1- النص البلاغي: لكل لغة بلاغتها وبنيتها(الظاهرية والباطنية) من حيث النص المشتق من الفعل العربي(ترجم) بمعنى النقل من لغة إلى لغة أخرى(1)وقد تجاوز بعض الباحثين إلى التعريف بشخص ما، فقالوا ترجمة فلان، أي عرض لبعض سيرته، وليس بالسيرة بمعناها المعروف ومصطلحها العلمي الحديث، من حيث طرفيها، الذاتي والغيري،Autobiographyو Biography المعروف في اللغة الإنجليزية، وهذا التعريف القاموسي ليس بكاف لترجمة نص أدبي أو ديني، من مترجم يجيد اللغتين- وهي مسلمة أولية، وسنأخذ بعض الأمثلة من المصادر القديمة، عند بعض المستعربين من الرحالة والمترجمين الذين يأخذون اللغة على ظاهرها (Surface structure) ولا يعرفون باطن النص البلاغي في اللغة العربية، ففي قول الله تعالى: { وترى الملائكة حافَّين من حول العرش000} تُرجمت بظاهر النص(2) فقد فهمها المترجم على أنهم يسيرون حفاة بلا أحذية، ولم يعرف أن هذه الجملة مأخوذة من الفعل العربي(حفَّ، يحف) وحافة الشي طرفه، وهناك كثير من هذه الأخطاء التي يقع فيها مستخدم اللغة الذي لا يعرف باطنها ومعانيها

الداخلية، وليست هذه القضية خاصة بالمستعربين من غير العرب، ولكنها وجدت على نطاق ضيق في بعض المفردات العربية، في اللغة نفسها، فهناك كلمات وردت ولم يكن لها من مقابل محسوس في الطبيعة والحسيات الملموسة، من حيوان ونبات، وأوصاف مشتقة من الطبيعة، فقد وردت كلمة في وصف شجرة الزقوم وإن طلعها يشبه رؤوس الشياطين(3) فلا الزقوم معروفة، ولا رؤوس الشياطين مرئية،مع أن اللغة دائماً مما يتحدثه الناس في شئونهم اليومية، وعندما سئل أبو عبيدة، أحد رجال اللغة المعروفين في القرن الثالث الهجري (ت209) الذي زكاه الإمام أحمد على كتابه(مجاز القرآن)، على أنه أول كتاب يتحدث في هذا الموضوع على حد تعبير ابن النديم(4)، عن معنى هذه الجملة التي لم تعرف شجرتها من ضمن أشجار الجزيرة العربية، وأن هذا التشبيه شاذ في اللغة، حيث شبه بالمجهول، وهذا على غير عادة اللغة التي تشبه بالمعروف وليس بالمجهول، قال: "يا هذا إن الله قد أنزلها على سنن العرب وعلى كلامها،ألم ترى قول امرئ القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال"

وهذا يدخل في لغة العرب على سبيل التخويف من العوالم الغيبية ، كالجن والسعالي والغول، وغيرها(5) وكانت هذه الآية الكريمة مما احتج به كفار قريش، و منهم أبو جهل وغيره،ومن هذا السؤال ألف أبو عبيدة كتابه المذكور،وهذه إشكالية الثقافة النصف حقيقة، كما نجدها في المبالغات الشعرية الخارجة عن المنطق.

" ملأنا البر حتى ضاق منا وحتى البحر نملأه سفينا"

وهناك من كانت مقاصدهم فلسفية عقلية في تفسير النص القرآني مقارنة ببعض النصوص الأخرى،فقد قام الباحث في ترجمات معاني القرآن، عبد الله يوسف علي بوصف القرآن الكريم بأنه شعر، وذلك من سورة(الملك) إلى نهاية القرآن، وبأن هذه السور تتكون من قصائد شعرية غنائية قصيرة في معظمها من الفترة المكية، يمكن مقارنتها بالترانيم أو المزامير في الكتب الدينية الأخرى، ويعد المترجم هذه الصفة الشعرية بمنزلة تحول منطقي في مسيرة القرآن الكريم من بدايته، وهو في هذا السياق يتبع المنهج الرمزي التأويلي، من ظاهر النص الفلسفي، وخاصة الأرواح والأجساد.

والمترجم يعتمد في ترجمته على الرتم الذي ينسجم صوتيا مع الإيقاع الشعري الموسيقيConcert،لكنه ليس بشعر، وهذا ما يسمى الفواصل في القرآن ليسهل حفظه حسب السائد عند العرب،وقد تصدى لهذه الترجمة بعض من الباحثين والنقاد، ومنهم الدكتور، حسن المعايرجي، حيث يرون أن هذا القول مكرر مما قاله كفار قريش على أن هذا شعر، ونفى الله- تعالى- قولهم بقوله في آيات كثيرة: { وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون 41}الحاقة، وهذا القول الذي يردده هذا المترجم قول ليس بالجديد ولا بالمفيد، ونو د أن نورد قوله باللغة الإنجليزية ليتضح القول لمن يقرأه بلغته من غير الترجمة العربية التي قدمنا بها:

'there is logical break here, the remaining fifteenth consist of short lyrics, mostly of the Makkan period, dealing mainly with inner life of man, and in its individual aspects, they may be compared to Hymns or Psalms in other religios literature'

وهذه الترجمة التأويلية تقبل التحول من ظاهر اللغة إلى باطنها في مقاصد ضد الدين والقرآن الكريم، الدستور الإلهي للمسلمين، ومن هذا يتضح لنا عدد من الأمور، سواء قصدها الباحث أو المترجم، أو لم يقصدها،وه:.

-1-1- قانون المقايسة الثقافية: وهو قانون اتخذه بعض المترجمين والباحثين في أطروحاتهم، ظناً منهم بأن هذا القانون سيجعلهم مثل البلاد التي ترجموا منها تلك الأعمال، وأول من عمل به الدكتور طه حسين في كتابه(مستقبل الثقافة في مصر) حيث قايس الفكر الثقافي في مصر بالفكر الثقافي الأوروبي ، أو الفرنسي على وجه التحديد(6) ولكن من يقرأ طه حسين في روايته(المعذبون في الأرض) يجد أن هذا القانون ليس بالمفيد بين ثقافتين مختلفتين، لكن المفيد أن يعمل المترجم على ما يمكِّنه من الوصول إلى تطوير ثقافته ولو كان في لغات أخرى، أي بمعنى غربلة النص بما يتفق والثقافة المنقول إليها، مثلما فعل الروائيون الجزائريون في بداية ثورتهم (7) كانوا يكتبون بالفرنسية، لكن بفكر وثقافة عربية جزائرية.

-2 1- تمكن المترجم من الثقافتين في آن واحد، ومعرفة الفروق التي لا يمكن أن تتفق والثقافة المنقول النص إليها، وأكبر دليل على ذلك النظريات التي ترجمت إلى اللغة العربية، مثل (De construction حيث لم تتفق ترجمتان على معناها في اللغة العربية، فقد ترجمت ثلاث ترجمات ليس فيها ما هو صحيح، من حيث النقل الثقافي، ولا حتى المضموني(8)فعندما يقوم المترجم بترجمة هذه النظرية من الإنجليزية وكاتبها فرنسي، فهذا يعني أنها سبق أن ترجمت إلى لغة ثانية، وعندما يطبقها على الثقافة العربية الإسلامية يجد أنها تنافي كثيراً من الموروث الديني والأخلاقي، وعندما يطبقها على النصوص لا نجدها متفقة كدليل علمي على

النص، فالعملية لي أعناق الجمل لإظهار نوع من المعرفة، فهي عند الرويلي، تقويضية، وعند الغذامي تشريحية(9) وعند آخرين تفكيكية، وعندما نعيد هذه الترجمات إلى أصول اللغة وجذور الأفعال لا نجد لها دلالة ، وعلى أي حال لم يكن هناك من تعريف لهذه النظرية في اللغة العربية يمكن أن يقال عنه أنه صحيح،ومن النصوص الروائية التي ترجمت إلى اللغة العربية، رواية الكاتب الإنجليزي الأصل(جورج أورويل)بعنوان 1984، حيث ترجمت في القاهرة ودمشق، والسعودية، فالترجمتان الأوليان كانتا ترجمتين سقيمتين، أما الثالثة فكانت ترجمة جيدة، لأن المترجم متمكن من الثقافتين الإنجليزية والعربية، فكان يعدل في بعض الكلمات التي لا تتفق والثقافة العربية، ويستبدلها بكلمات وجمل تلائم الثقافة المنقولة إليها ولا تخل بالنص الأصلي، لأنه روائي وقاص يعرف معاني الكلمات في أصولها(10) ولعلنا لا نذهب بعيداً عندما نستشهد بترجمة الروائي الجزائري، محمد ديب، الذي كتب باللغة الفرنسية كلغة ناقلة للفكر، أما المضمون فكان جزائرياً، وعندما ترجمت أعماله إلى اللغة العربية لم تختلف عمن كتب باللغة العربية مباشرة، وكذلك عدد من الروائيين الجزائريين، وبعض الباحثين الذين قدموا أعمالهم لنيل الدرجة العلمية بلغات مختلفة ترجموها إلى العربية فيما بعد(11)ولأن الجزائر بدأت أدبها العربي بطريقة مختلفة عن باقي البلاد العربية، التي ظهر أدبها الحديث متنازعا بين تيارين(تقليدي منغلق على نفسه لا يقبل من غير منهجه التقليدي، وتيار مجدد يرغب في مسايرة الآداب العالمية والعربية، بيد أن تياراً ثالثاً ظهر ضد التقليدي والتقوقع واستفاد من أساليب المترجمين في القصة والرواية، ويعد ذلك من تيار النقد الجديد، وخاصة من المهاجرين الشوام إلى مصر، من الصحافيين والأدباء والفنانين،وأدب المهجريين.وفي السعودية من أدب

المهاجرين العرب والمسلمين إليها، أمثال الأديب الجزائري، أحمد رضا حوحو، ومحمد الأفغاني(12) وهذه الترجمات المبكرة في الصحافة السعودية،كانت مقدمات لظهور الفن الروائي والقصة القصيرة، مع ما لنا عليها من ملاحظات؛ ، فقد حصلت على معلومة من أحد الأساتذة الكبار الذين عاصروا هؤلاء المترجمين، على أنهم يصيغون النص بالعربية من مترجم ضعيف في اللغة العربية، كما أن الوضع العلمي والثقافي لبعض المترجمين لم يمكنه من معرفة الأسماء الصحيحة للكاتب الذي يترجم عنه نصاً، فقد قام إبراهيم الصيرفي بترجمة كتاب الناقد الإسكوتلاندي(Edwin Muire) (بناء الرواية)فترجمه(موير) بينما هو ميور، فمعرفة الصيرفي إنجليزية، بينما الاسم إسكوتلاندي، كما يترجمون كل ما له علاقة بالشعب الإسكوتلاندي بلاحقة(tish) وهذا خطأ في معرفة الثقافة الإسكوتلاندية التي تختلف عن الثقافة الإنجليزية، فهناك ثلاث حالات يجب التفريق بينها:

الأولى، ما يتعلق بالإنسان، مثل رجل إسكوتلاندي Scots Man

الثانية ، ما يتعلق بالأشياء، مثل الأدوات والمصنوعات Scottish

ثالثاً، نوع المشروب الروحي الذي تشتهر به هذه البلاد عن غيرها (Scotch) وفي مثل هذه الحالات يلزم المترجم معرفة الثقافة الخاصة للغة التي يترجم عنها، وهذه اللغة في أساسها ليست إنجليزية،هي(Gaelic) تعلم أهلها اللغة الإنجليزية، وظل نطقهم الأصلي بلغتهم، فعلى سبيل المثال، كل نهاية كلمة تنتهي ب(CH) تنطق(خ) وهذا دائما في الكلمات المنتهية K، مثل كلمة(Lake) تنطق

وتكتب Loch، فالثقافة مهمة بين اللغتين، وعلى المترجم أن يكون ملماً بهذه الثقافة وتلك.

2-النقد الأدبي:

لقد استفاد النقد الأدبي من بعض المترجمات لبعض النقاد الغربيين، من فرنسا وأمريكا، و بريطانيا، وألمانيا، ومارس النقد العربي بعض متونه على الطريقة التي قام بها أولئك النقاد،ويرى كثير من المتابعين للنقد العربي أنه تأثر بهذه النظريات في منتصف سبعينيات القرن الماضي بما يسميه بعضهم بالمثاقفة(acculturation) كما يرى البعض أن المثاقفة تعني الترجمة، ونرى أن هذا التعريف والتقريب فيه شطط كبير، فهناك من آمن بثقافة معينة، بل أصبح داعية لها، وهو لا يعرف في من لغتها ولا ثقافتها إلا القليل المترجم(13) ويرى الدكتور عمر عيلان أن حركة ترجمة النصوص والكتب النثرية والمتعلقة بالنقد الجديد والاتجاه الشكلاني والبنوي عموماً ساهمت في إغناء المكتبة العربية، ووضعت أمام الباحثين والدارسين مجموعة هامة من الأفكار والنظريات والمنهجيات النقدية، التي كان لها تأثيرها الواضح على توجهات النقد العربي المعاصر عموما والنقد الروائي تحديداً، ويرى الدكتور عيلان أن هذه الترجمات والأفكار الواردة قد أثرت في خريجي الجامعات من المتخصصين في النقد الأدبي، وظهور مجلات متخصصة في النقد، مثل(فصول القاهرية، وعلامات في جدة،وآفاق في المغرب) وغيرها(14) ونرى ما يراه الدكتور عمر عيلان، في أن هذه الترجمات تفيد الباحثين والدارسين، ممن يجيدون لغتها الأصلية، وتقل فائدتها لمن لم يعرفوها في لغتها الأصلية، حيث يوجد كثير من الترجمات غاية في الضعف والسقم معاً، فلا تؤدي من الغرض أكثر

من إشهار ثقافي، لا يقدم معرفة للسواد الأعظم من الشعب العربي، كما يرى عبد السلام بنعبد العالي أن الترجمة والتثاقف شيء واحد(15) في قالب يختلف عن العولمة ذات القطب الواحد، ولكن يبقى السؤال قائماً: هل قدمت الترجمات العربية مصطلحاً عربيا متفقا عليه، أم أنها نقلت الكلمات والمصطلحات كما هي في قالب تثقيفي ناقص، مثل كلمة ابستيمولوجي التي يرددها كثير من الباحثين(Epistemology) دون أن يعربها بأصلها العربي(المعرفة) وقد يكون الجواب على ذلك من باب الاجتهاد غير العلمي، فقد يكون المترجم عاجزاً عن ترجمتها، أو أنه يستعرض مهاراته، وغيرها كثير، ونشير إلى أن الأمة العربية تمر بضعف فكري وعلمي حد من استفادتها من المنتج المترجم لإنتاج معرفي على ضوء ما قدمته الترجمة، كما كانت في قرون قوتها عندما استفادت من الإبداع العلمي والأدبي والنقدي ، فأول كتاب ترجم إلى العربية كان على يد عبد الله بن المقفع(كليلة ودمنة) للفيلسوف الهندي(بيدبا) وقد ترجمها ابن المقفع عن الفارسية(الفهلوية) واستفاد العرب المسلمون من هذه الترجمة التي صاغها المترجم بلسان عربي مبين(16)، وإذا كانت الترجمة تعني التمازج الحضاري والعلمي والثقافي بين الأمم، فإن قانون الكون الإلهي يوزع الأدوار بين الأمم، كما قال تعالى: {000 وتلك الأيام نداولها بين الناس} آل عمران140، وعلى الأمة أن تنتبه لنفسها قبل أن تتمكن منها مخالب العلومة Globalizationذات القطب الواحد، وقد ظهرت بوادرها في نهاية القرن العشرين بدخول الأنترنت (الشبكة العنكبوتية) وإغفال 20% من لغات العالم من صفحة الجهاز، واعتماد أربع لغات فقط، حسب تقرير الأمم المتحدة، وهي الإنجليزية التي جاءت في المقدمة بنسبة72%، وتليها الألمانية بنسبة7%، ثم الفرنسية والأسبانية بنسبة3% من المستخدمين، وهذه

عولمة الهيمنة من القطب الواحد إضافة إلى الأطعمة والملابس والتجارة العامة. وعلى المترجمين نقل النصوص وصياغتها بثقافتنا وليس بثقافة الغير، فهناك كثير من المفاهيم لا تنطبق على ديننا ولا تقاليدنا.

الخلاصة:

أردت في هذه المداخلة أن أقدم صورة عامة عن واقع نقد الترجمة في العالم العربي الذي لم يستطع استخدام المنجز الحضاري الغربي في لغاته ومخترعاته، للقيام بدوره الثقافي العلمي ليقدم من خلاله معرفة تكوينية يستطيع بها القيام بوجوده منتجاً، لا مستهلكاً، وأبديت رأيي حول المصطلح الثقافي بين العولمة والترجمة التي اعتبرها بعض الباحثين شيئاً واحدا، فالترجمة ضرورة للتلاقح مع الفكر الآخر بشرط أن يستفاد منه كما كانت الدولة العربية الإسلامية قد استفادت منها في أطوار قوتها، فلعل العلماء والباحثين والمترجمين يقومون بدور من يطور النظرية الغربية لصالح ثقافة أمته ويصيغ نصوصا مترجمة بلغة عربية تعم فائدتها كل الأطياف، وليست للنخبة من الباحثين والدارسين، خلف أسوار الجامعات بلا إنتاج.

إنها محاولة ومساهمة في هذا المشروع، أرجو أن أكون وفقت فيما أريد.

والله من وراء القصد، وصلى الله وسلم على معلم البشرية الأول- محمد- وآله وصحبه أجمعين، وسلاماً على المرسلين.

المراجع والهوامش والمصادر:

1- ابن منظور(لسان العرب) ص26، ترجم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
2- سورة الزمر، آية 75، وهذا التفسير من قبل بعض المستعربين، وهناك كثير من الأخطاء ارتكبها كثير منهم على ظاهر النص.
3- سورة الصافات، آية 65،
4- ابن النديم(الفهرست) ص52، وما بعدها.
5- أبو عبيدة، معمر بن المثنى(مجاز القرآن) ص215.
6- انظر طه حسين (مستقبل الثقافة في مصر)، وبحثنا حول ما كتبه طه حسين ، في كتابنا(التيارات الفكرية وإشكالية المصطلح النقدي) ص 77، نادي الطائف الأدبي ، 2005.
7- انظر (أوراق ملتقى بن هدوقة) 2011.
8- انظر، ترجمة الدكتور ميجان الرويلي(التقويضية) نادي الرياض الأدبي.
9- الدكتور عبد الله الغذامي(الخطيئة والتكفير) تطبيق النظرية على نصوص الشاعر، حمزة شحاتة،نادي جدة الأدبي،1984.
10- ترجمها الأديب عزيز ضياء، بحس الروائي وليس بحس المترجم.
11- انظر، الدكتور يوسف لطرش(محمد ديب) الجزائر.

12- سلطان بن سعد القحطاني(الرواية في المملكة العربية السعودية، نشأتها وتطورها)ص101، نادي القصيم الأدبي، ط2، 2009.

13- يوجد في السعودية مجموعة من المتحيزين للثقافات اليونانية والغربية دون أي معرفة بلغاتها، فتأثرهم جاء من خلال قراءاتهم لبعض المترجمات التي تنفي الحضارة والثقافة عن العرب، وتنسب حضارتهم لليونان.

14- عمر عيلان(النقد العربي الجديد) عرض أنور محمد، الثورة- الوحدة

15- عبد السلام بنعبد العالي(الترجمة والتقتقف) مجلة الوحدة المغربية، ص8س6، ع61-62.

16- محمود إسماعيل عمار(معايير متقدمة حول ترجمة النقد العربي القديم) مجلة علامات في النقد، ص81 وما بعدها، ج48،مج12،يونيو2003.